الأخبار النبوية في ملاحم المسلمين آخر الزمان
(دراسة تحليلية نقدية)

إعداد

د. أحمد طاهر عبد الرحمن النقيب

أستاذ مساعد الدراسات الإسلامية

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

كلية التربية – جامعة المنصورة





تمهيد

وصف النبي ρ بأنه "نبي الملحمة"[١] – على أحد التفسيرين؛ كأنه يؤلف الأمة، ومنه: التحم الجرح: للبرء التام [٢]. وهذا المعنى ليس بدوار، والمشهور أن "الملحمة": الوقعة عظيمة القتل، أو مكانها، من قولك: لَحِم الرجلُ الرجلَ: ضربه فأصاب لحمه وقَرُب منه حتى لَزِق به، فعندما يعظم القتال يشتبك الناس ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم؛ حتى تكاد لحومهم أن تتداخل من شدة التدافع والالتصاق وقطع بعضهم لحم بعض بالسيوف وغيرها حتى يكثر سقوط لحم القتلى والجرحى [٣].

وملاحم المسلمين في المستقبل بمعنى الاقتتال هو المصطلح الدوار في كتب السنن؛ كقوله ρ عن بني تميم "أنهم أشد الناس قتالا في الملاحم [٤]. مما يؤصل له أيضا إفراد بعض الأئمة له بالأبواب في مصنفاتهم [٥]. لقد صار هذا المصطلح "الملحمة" دليلا على الاقتتال آخر الزمان بين المسلمين وأعدائهم، يدل عليه حديث معاذ بن جبل τ أن رسول الله ρ قال: "عمران بيت المقدس: خراب يثرب، وخراج يثرب: خروج الملحمة، وخروج الملحمة: فتح القسطنطينية،

---

(١) انظر الفيروزابادى، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ): القاموس المحيط (١٧٢/٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٣٩٨هـ =١٩٧٨م عن الأميرية سنة ١٣٠١هـ. ولابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): لسان العرب (٤٠١٢/٥)، (٥م٣٣٤٤- ٣٣٤٦) دار المعارف، القاهرة (د.ت).

(٢) انظر في هذا لابن منظور: اللسان (٤٠١٢/٥). والزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ): أساس البلاغة ص/٤٠٦، دار التنوير العربي، بيروت، ط٤-١٤٠٤هـ =١٩٨٤م. والفيروزابادى: القاموس المحيط (١٧٢/٤) ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط (٨٥٢/٢) الهيئة المصرية العامة، ط٣-١٩٨٥م.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٢٥ –كتاب فضائل الصحابة) من حديث أبي هريرة τ مرفوعا به.

(٤) يمكن – على سبيل المثال – مراجعة كتاب الملاحم عند أبي داود، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ): سنن أبي داود ح/٤٢٩١ – ح/٤٣٤٧ مكتبة المعارف، الرياض، ط٢-١٤١٧هـ وأيضا كتاب الملاحم عند ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ): سنن ابن ماجه ح/٤٠٨٩ – ح/٤٠٩٩ مكتبة المعارف، الرياض، ط٢-١٤١٧هـ.

(٥) صحيح. أخرجه أحمد (٢٣٢/٥، ٢٤٥) وأبو داود (٤٢٧٣ –كتاب الملاحم) وصححه الألباني، محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ): "صحيح الجامع الصغير" ح/٤٠٩٦ المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣-١٤٠٨هـ =١٩٨٨م.

وفتح القسطنطينية: خروج الدجال" [١].

لقد ذكرت "الملحمة" في سياق أخبار آخر الزمان، وأحداث آخر الزمان (وهي آيات وعلامات الساعة – ومنها الملاحم –) متتالية يتبع بعضها بعضا [٢]، يدل عليه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص τ قال: قال رسول الله ρ : "الآيات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك، يتبع بعضها بعضا" [٣]، وعن أبى هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: "خروج الآيات بعضها على بعض يتتابعن كما تتابع الخرز" [٤]، وعن أنس بن مالك τ قال: قال رسول الله: "الأمارات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضا" [٥]. يقول الوابلى "والذى يظهر لى – والله أعلم – أن المراد بهذه بهذه الآيات هي علامات الساعة الكبرى، فإن ظاهر هذه الأحاديث يدل على تقارب ظهورها تقاربا شديدا ... [٦].

لكن ما هي العلامة التى إذا ما وقعت انفرط الخرز وانقطع السلك؟ أقوال كثيرة في "الأولية" أشارت إليها الأحاديث وأشكلت، وحاول البعض الترجيح أو التوفيق والجمع [٧]. لقد اجتهد بعض أهل العلم في هذه المسألة لينتهي إلى أن أول هذه الأشراط المتتابعة هو "المهدى"، يقول السفارينى:

(١) انظر في هذا، الأشقر، د. عمر سليمان: القيامة الصغرى ص/٢٣٥، دار النفائس، الأردن، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

(٢) إسناده صحيح. أخرجه أحمد (٢١٩/٢) وقال الهيثمى في "مجمع الزوائد" (٣٢١/٧) وفيه على بن زيد، وهو حسن الحديث وصححه الألبانى (ح/٢٧٥٥ – صحيح الجامع).

(٣) صحيح. أخرجه ابن حبان (١٨٨٣ – موارد الظمآن) وقال الهيثمى في "مجمع الزوائد" (٣٢١/٧) رجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وداود الزهرانى وكلاهما ثقة، وصححه الألبانى (ح/٣٢٢٧ – صحيح الجامع).

(٤) صحيح. أخرجه الحاكم (٥٤٦/٤) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى، وقال الألبانى: وهو كما قالا. وانظر له (ح/١٧٦٢ – السلسلة الصحيحة).

(٥) الوابل، يوسف بن عبد الله: أشراط الساعة ص/٢٤٦، دار ابن الجوزى، الرياض، ط٢٦-١٤٢٩هـ.

(٦) انظر مثلا قول ابن حبيب الأندلسى، عبد الملك المالكى (ت ٢٣٨هـ): أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار ص/٩٧، دراسة وتحقيق/ عبد الله عبد المؤمن الغمارى، أضواء السلف، الرياض، ط١-١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، ما نصه "باب: ما جاء في الأشراط التى تقوم عليها الساعة ... طلوع الشمس من المغرب، ثم الدابة، ثم الدجال، ثم يأجوج ومأجوج، ثم الدخان!! ثم يقول: "واختلف في هذه الستة أيتها قبل الأخرى"!!

(٧) السفارينى، محمد بن أحمد (ت ١١٨٩هـ): لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية فى عقيدة الفرقة المرضية (٧٠/٢-٧١)، المكتب الإسلامى، بيروت، ط٣-١٤١١هـ=١٩٩١م.

"العلامات العظام والأشراط الجسام التى تعقبها الساعة ... أولها أن يظهر "الإمام" ... محمد المهدى، هذا اسمه [١]. ويقول صديق حسن خان "الفتن العظام التى تعقبها الساعة، وأولها المهدى [٢]. ويقول الوابلى "فإن أول العلامات الكبرى بعد المهدى ظهور الدجال ... [٣]. بل قدم السفارينى تصورا كاملا للأحداث العظمى مرتبة، فقال رحمه الله: "والذى يظهر لى – والله أعلم – أن أول الآيات: خروج المهدى، ثم الدجال، ثم نزول عيسى، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم هدم الكعبة، ثم الدخان، ثم ارتفاع القرآن، ثم طلوع الشمس من مغربها، ويحتمل أن طلوع الشمس متقدم على رفع القرآن، وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها في يومها أو قريبا منها، وهذا هو النسق الذى مشينا عليه واخترناه" أ.ه[٤] ولقد أقره صديق حسن خان على هذا التصور فنهج ترتيب علاماته الكبرى عليه [٥].

هذا، وقد وردت نصوص في أن المهدى بين يديه ملاحم وحروب بين المسلمين وبين الأصفر، فيا ترى هل يكون المسلمون في قتالهم بغير نظام أو راية أو أمير؟!! صنيع القرطبي – رحمه الله – أن هناك من يوطئ للمهدي ملكه [٦]، وصنيع أهل العلم في ذكر الملاحم بين يدي المهدي دليل ضمني على أن للمسلمين نظام وترتيب، يقول صديق حسن "باب في الفتن الواقعة قبل خروجه (يعنى: المهدى) فمنها: حَسْر الفرات عن جبل من ذهب، ... والملحمة الكبرى ... فتح القسطنطينية .. وفى كل ذلك أخبار وآثار ثابتة ذكرناها في "حجج الكرامة"[٧].

ومن جملة ما يَدُلّ على أن المسلمين قبل توالى أحداث العلامات الكبرى (من المهدى حتى حشر الخلائق) كان لهم تواجد وكيان أنهم يقاتلون بنى الأصفر: فعن عوف بن مالك τ، قال أتيت

(١) صديق حسن خان (ت ١٣٠٧هـ): الإذاعة لما كان وما سيكون بين يدى الساعة ص/١٢٢، مكتبة المدنى، القاهرة.
(٢) الوابلى: أشراط الساعة ص/٢٤٦.
(٣) السفارينى: لوامع الأنوار (١٤٢/٢).
(٤) صديق حسن خان: الإذاعة ص/١٧٣ وما بعدها (كمثال).
(٥) انظر للقرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١هـ): كتاب التذكرة بأحوال الموتى والآخرة (١٢٠١/٣)، تحقيق د. الصادق بن محمد إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط٢–١٤٢٦هـ.
(٦) صديق حسن خان: الإذاعة ص/١٥٥.
(٧) أخرجه البخاري (٣١٧٦ –كتاب الجزية والموادعة) وموتان: موت، قعاص: داء يهلك الدواب. غاية: راية.

النبي ρ في غزوة تبوك – وهو في قبة من أدم – فقال: "اعدد ستا بين يدى الساعة: موتى، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر، فيغدرون، فيأتوكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا" (١). وهذا دليل على أنه قبل المهدى وما يتلوه يكون هذا الصراع بين المسلمين وبنى الأصفر، ولا يكون هذا وأمر المسلمين شتى، بل هو دليل على وجود خلافة تجمع المسلمين، وتجاهد بهم أعداءهم. وهناك – بالإضافة إلى القرطبي – من نَصَّ على وجود "خلافة" توطئ للمهدى وتكون قبل ظهوره، يقول الإمام السُّلَّمى الشافعى "الباب الخامس: في أن الله تعالى يبعث من يوطِئُ له – يقصد المهدى – قبل إ مارته، عن جابر بن عبد الله τ قال: سمعت رسول الله ρ يقول: "لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون عن الحق ظاهرين إلى يوم القيامة" أخرجه الإمام أبو الحسين بن مسلم بن الحجاج في "صحيحه"، وعن معاذ بن جبل τ قال: قال رسول الله ρ: "لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال. قال معاذ بن جبل: وهم بالشام. أخرجه البخارى ومسلم في صحيحيهما (٢)أه.

وفيما ذكرت إشارة قوية إلى أهمية بلاد الشام خصوصا في حروب المستقبل!! يُؤكِّد هذا المعنى قوله ρ : "سيكون أجنادٌ مجندة: شام ويمن وعراق – والله أعلم بأيها بدأ – وعليكم بالشام، ألا وعليكم بالشام، ألا وعليكم بالشام ... فإن الله عز وجل تَوَكَّل لي بالشام وأهله" (٣)، هذه الأخبار وغيرها في الشام جعلت طائفة عظيمة من الشباب المتحمس يَظُنّ أن تكالب الدول على سوريا الآن: إرهاصات بين يدي الملاحم (٤)، وأنه قد آن الأوان لاستقبال آخر الزمان، وبالتالي صارت تأويلات

---

(١) السلمي، يوسف بن يحيى (ت ٦٨٥هـ): عقد الدرر في أخبار المنتظر ص/١٢١، تحقيق، عبد الفتاح الحلو، مكتبة عالم الفكر، القاهرة، ط١–١٣٩٩هـ =١٩٧٩م.

(٢) حسن. أخرجه أحمد (٢٨٨/٥) من حديث عبد الله بن حوالة مرفوعا به.

(٣) انظر مقالا بهذا الاسم في موقع (عرب ٢١) بتاريخ الأربعاء ٢٠١٥/١٠/٢٨م.

(٤) ومن أخطر هذه النصوص: نصوص الرايات السوداء، فقد أخرج أحمد (٣٦٥/٢) عن أبي هريرة τ أن رسول الله ρ قال: "يخرج من خراسان رايات سود لا يردها شيء حتى تنصب بإلياء" قال محقق المسند شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جدا، ولا

النصوص (التي يغلب عليها الضعف) [1] جاهزة لتفصيلها على الوقائع والمعينين، الذين تجهزوا بالفعل لتقمص الأدوار ومحاكاة الأحداث الواردة في النصوص؛ ليكونوا هم تأويلها الفعلي!! دون النظر إلى تحقيق نص أو الوقوف على مستند صحته!!

ولأحد التنظيمات الفوضوية، وهو المسمى بالدولة الإسلامية بالعراق والشام (داعش) تأويلات عجيبة أودعها أحدهم في دراسة له أسماها "إعلام الأخيار أن جند أبي بكر الكرار هم أصحاب الرايات السود كما دلت الآثار"!! وقد أتى فيها بالأعاجيب من الأحاديث الباطلة ولَيِّ أعناق الأخبار الصحيحة، وانتهى إلى جعل تنظيمهم هو مقدمة الملاحم الكبرى آخر الزمان!! وإسقاط دلالات الأخبار عليهم وعلى مخالفيهم!! فيستدلون بخبر الرايات السود، وفيه أنه يحدث بينهم اقتتال، فيقول: وقد حدث بين تنظيم الدولة وبين جبهة النصرة، وقالوا قال رسول الله ρ : "يخرج من الجزيرة الرايات السود" [2]، فيقول: فالجزيرة هي المنطقة المحصورة بين الفرات ودجلة، وهو تعبير دقيق؛ لأنها المنطقة الحدودية الشاسعة التي تجمع بين سوريا والعراق!! أما عن داعش (تنظيم الدولة) فيقول: إن النبي ρ ذكر أن أصحاب الرايات السود، وهم الدولة (هكذا!!) يقاتلهم أهل سبع رايات [3]، فيقول الداعشي: نعم، وهذه الرايات التي تحارب الدولة: جيش المجاهدين – الجبهة الإسلامية، جبهة تحرير سوريا،

يصح في الباب شيء، وكل ما فيه أخبار ضعيفة".أهـ وفي المسند (٢٧٧/٥) من حديث ثوبان مرفوعا به "إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها، فإن فيها خليفة الله المهدي"!! وإسناده ضعيف –كما قال الأرناؤوط – وقال الذهبي عن هذا الخبر (٤٨/٤ – ميزان الاعتدال) "أراه منكرا" وعند ابن ماجه (٤٠٨٤ –كتاب الفتن) من حديث ثوبان "ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم فتلالم يقتله قوم ..." وهو ضعيف، بل رماه الألباني بأنه منكر، انظر له "السلسلة الضعيفة" ح/٨٥، منشورات لجنة إحياء السنة، ط١–١٣٩٩هـ..

(١) ضعيف جدا، أخرجه نعيم بن حماد المروزي: كتاب الفتن ح/٥٥٩ تحقيق سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.

(٢) أخرجه الحاكم (٨٧٢٢) موقوفا على علي بن أبي طالب، وفي إسناده من رمي بالتشيع، وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (٣٩٠٥) مرفوعا، وفي سنده ابن لهيعة، وهو لين، انظر للهيثمي، علي بن أبو بكر (ت ٨٠٧هـ): مجمع البحرين في زوائد المجمعين (٢٨٧/٧) دار الرشد، الرياض، ط١–١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

(٣) انظر "إعلام الأخبار" لأبي زياد المالكي المغربي يوم الخميس ٦ ربيع الثاني ١٤٣٥هـ=٢٠١٤/٢/٦ http//:dawaalhaq.com

جبهة ثوار سوريا، جبهة الأصالة والتنمية، الجبهة السورية للإنقاذ، الجيش الحر"أ.هـ[١]

إن محاولة من يسمون أنفهسم بالمجاهدين تعجيل الزمن وإنهائه باستحضار النصوص وتقمصها في شخوصهم للتدليل على أنهم المقصودون بملاحم آخر الزمان، وأنهم جزء من منظومة الملحمة فراياتهم سوداء، وأسماؤهم الكنى، ونسبتهم المدن والقرى، وشعورهم مرخاة كشعور النساء، ثم يختلفون فيما بينهم، ثم يؤتي الله الحق من يشاء ..." [٢]: لهو نوع من ركوب مطية الأهواء والظنون الفاسدة؛ حيث يعتبرون أنفسهم التجلي الحقيقي لقدر الله المحتوم لنهاية العالم من خلال ما يزعمون أنه جهاد مقدس، مقصودهم به إنشاء الخلافة الإسلامية للوصول إلى الخلاص الموعود وحُكْم العالم!! وهو ما أشار إليه قاطع رؤوس المصريين بليبيا عندما أشار إلى أوروبا قائلا "إننا سنهزم روما بإذن الله"!! ويعتقدون أن الفترة من ٢٠١٧-٢٠٢٠ هي فترة الحرب المفتوحة التي تسبق ظهور المهدي ثم الملاحم مباشرة، ويروجون لذلك في مواقعهم وصفحاتهم ... [٣].

لقد وصل الأمر بأصحاب "فكر الملحمة" باعتقادهم أن الصراع الدموي في سوريا ما هو إلا الملحمة الكبرى الواردة في النصوص النبوية، وأنه قد بدأت وقائعها؛ ولهذا الفهم الملحمي توافد الآلاف من الشباب من شتى أصقاع الأرض للقتال والمشاركة في هذه الملاحم!! وفي الجانب الشيعي تُلِحُّ مفاهيم الملحمة بشدة في الوجدان الشيعي؛ حيث يعتقدون أن هذه الملاحم تمهد لظهور الإمام المهدي، وأن من قُتل فيها سيُبعث عند ظهور الإمام للقتال معه مرة ثانية؛ لذا توافد الآلاف من شباب الشيعة

---

(١) انظر مقال كتاب "لا يحتج به" تنبأ بظهور البغدادي منذ ١١٤٧ عاما إلى صحيفة عاجل الإلكترونية ١٥ رمضان ١٤٣٥هـ=١٢ يوليو ٢٠١٤م وهذا المذكور من صفاتهم ذكره نعيم بن جماد المروزي في كتاب "الفتن" ح/٥٧٣. ومعلوم أن عامة أحاديثه ضعيفة.

(٢) انظر شبكة الأخبار العربية (ANN) مقال: "داعش" وإغراء مقاتلين برؤية مكذوبة عن "نهاية العالم". وانظر أيضا مقال د. كمال حبيب: ما بعد إدارة التوحش، داعش بين العنف المقدس وأساطير نهاية العالم، مركز المستقبل، الاثنين ٢٠١٥/١٠/١٢م.

(٣) انظر مقابلات مراسلة صحيفة رويترز للمقاتلين (سنة وشيعة) ونصوص كلامهم في مقال "نبوءات دينية .. الحرب بسوريا حتى آخر الزمان" الوفد الالكترونية ٢٠١٤/٤/٣م وانظر مقال: حرب آخر الزمان .. أديان ومذاهب تصارع التاريخ في سوريا، ميدل ايست أونلاين بتاريخ ٢٠١٤/٤/٢م.



للمشاركة في هذا الاقتتال ... [١] اعتقادا منهم أن ظهور (داعش) وهم أصحار الرايات السود تعني أن قتالهم واجب شرعي على كل شيعي؛ لأنه وردت في روايات أهل البيت "فإذا رأيتموهم" فامسكوا الأرض؛ أي حافظوا على الأرض الشيعية حتى لا ينتزعها هؤلاء الإرهابيون ... [٢]

في وسط هذا الهرج نقف على التناقض والاضطراب عند كثير من الباحثين المعاصرين لأحداث الفتن وأشراط الساعة، فهم يثبتون الملاحم قبل المهدي، ثم نجد من ذهب إلى أن المهدي هو الذي يقود معسكر المسلمين في الملاحم ضد الروم، أما قبل المهدي فإن المسلمين مستضعفون ليس لهم جيش ولا قوة ... [٣]!!

كل ما سبق من أجل إنهاء الزمن: خبط في تصور ملاحم آخر الزمان مكانا أو أعيانا أو أحوالا!! ثم يزداد العجب عن تأمل نماذج أخرى من الخبط التأويلي المفرط في البعد باستحضار بعض ألفاظ النصوص وإسقاطها على وقائع وأعيان معاصرة، فالروم هم أمريكا وبريطانيا وحلفاؤهم، وهازمهم ومحرر المسجد الأقصى هو السفياني، الذي هو الرئيس العراقي الأسبق "صدام حسين"[٤]!!

ومن هذا الخبط العجيب أن المسيح الدجال هو قابيل[٥]!! وأن يأجوج ومأجوج هم المغول!!

(١) انظر للسيستاني، على موقعه http://www.jond313.com مقال: داعش من علامات الظهور المقدس!!

(٢) انظر في هذا محمود رجب الوليد: كشف المنن في علامات الساعة والملاحم والفتن ص/١٧٤، دار ابن حزم، بيروت، ط١-١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

(٣) انظر د.فاروق الدسوقي: البيان النبوي بانتصار العراقيين على الروم (أمريكا وبريطانيا والترك) وتدمير إسرائيل وتحرير الأقصى. المكتبة التوفيقية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة – ١٩٩٧م وخبر السفياني هذا لا يصح أصلا؛ نقل ذلك رهط كثير من أهل العلم، منهم الخطيب البغدادي وابن الجوزي، وقد جمع طرق هذا الخبر باستقصاء مشهور بن آل سليمان وانتهى إلى ضعفه قولا واحدا، انظر له: العراق في أحاديث وآثار الفتن (٢/٥٠٠-٥٠٢) مكتبة الفرقان، دبي، الإمارات، ط١-١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م

(٤) انظر الدسوقي، د. فاروق أحمد: القيامة الصغرى على الأبواب (٥/١٥٧-١٦١)، موسوعة أشراط الساعة، ط١-١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

(٥) انظر آل زيدان، فهد بن محمد: كشف الستار عن الفتن والملاحم وأشراط الساعة آخر الزمان (٢/٣٢٦) دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط١-١٤٣٥هـ=٢٠١٤م.

بل هو الصحيح [١]، بل تحديد أسمائهم وتواريخهم وقبائلهم وأجناسهم بأخبار من العهد القديم وبأخبار بعض الجغرافيين وغيرهم ...[٢]، وفي المقابل نجد من ينكر هذه الملاحم بالكلية ويتفنن في تأويل نصوصها [٣].

إن الإيمان بالساعة وقرب نهاية الزمن مُقَرَّر أخبر الله به في كتابه فقال { ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ } [القمر: ١] وقال { ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ } [الأنبياء: ١]، وقال تعالى { ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ } [الحج: ٧] قال الشوكاني: { ﭮ ﭯ ﭰ } لا شك فيه ولا تردد (٤). وقال ρ : "بعثت والساعة كهاتين، وأشار إلى الوسطى والتي تلي الإبهام"(٥) قال القاضي: "يعني لتقارب إحداهما من الأخرى، إما في المجاورة، وإما في قدر ما بينهما من قرب ...أ.هـ، ورجح القاضي هذا الوجه الآخر(٦). والإيمان بنهاية الزمن وملاحم آخر الزمان، ومن ثَمّ انقضاء الكون وقيام الساعة ليس فقط عند المسلمين، بل هو عقيدة اليهود والنصارى المؤسسة على نبوءات ونصوص حفلت بها كتبهم (٧).

لقد بات واضحا أن "الملاحم" آخر الزمان مع ثبوتها – حدث في ألفاظ أخبارها وفي فهم هذه الألفاظ الخلط الشديد حتى استبد الوهم بقطاعات كثيرة لاسيما من المتدينين، الذين لم يثقفوا النصوص ليقفوا على صحتها أو ضعفها، ولم يخبروها ليدركوا معانيها ومراميها في السياقات النصية المحفوفة

(١) انظر آل زيدان: كشف الستار (٢/٣٣٧-٤٠٢).

(٢) انظر ما نقله وناقشه الأحمدي، ياسر عبدالرحمن: ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وأهل الكتاب وآثارها الفكرية ص/٨٥-١٠٠، مجلة البيان، الرياض، ط٢-١٤٣٤هـ.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ): فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٣/٥٩٧) دار الوفاء، المنصورة، ط٢-١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري (٤٩٣٦ –كتاب التفسير) من حديث سهل بن سعد τ، ورواه مسلم (٢٩٥١ –كتاب الفتن) من حديث أنس بن مالك τ .

(٥) القاضي عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ): إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/٥٠٧) تحقيق د. يحيى اسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ط١-١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

(٦) انظر حول هذا محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ): المنار (١٦/٢٩٧) مصر – ١٣٤٠هـ=١٩٢٢م.

(٧) ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ): النهاية في الفتن والملاحم ص/٣٩، دار العقيدة، الإسكندرية، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م.

بالسياقات الثقافية والحضارية المعينة على تَفَهُّم هذه النصوص، فكان من نتيجة ذلك ما استعرضنا من الخلط والخبط بغير برهان، بل من الظن والاعتساف!!

ولما كانت مسألة "الملاحم" تغري بالمتدينين ومن أراد سلوك طريق الهداية أن يقدم نفسه قربانا من أجل الغاية الحميدة، وهي أن يقتل في ملاحم آخر الزمان لينال الرضا والرضوان!! ولما كانت المقالات والمرفوعات على الشبكة العنكبوتية تمثل عصفا معرفيا ضاغطا على ناشئة المسلمين وتوجههم إلى أفكار حَقُّها أن تواجه وأن يُراجع اصحابها، كانت أهمية دراستنا، أيضا الدراسات الخاصة بقضية "الملاحم" قليلة، وهي في قلتها مجموعة من المقالات أو الأسطُر الطائرة من غير تحقيق أو تدقيق، أو هي نصوص مبعثرة في بطون كتب السنة وغيرها، ليست مجموعة على الوجه الأمثل؛ إذ هي أخبار قليلة خفيفة من بعض كتب الفتن وأخبار الساعة، كما فعل ابن كثير في "النهاية في الفتن والملاحم"(١) ومن المتأخرين صديق حسن خان في "الإذاعة" (٢).

أما الدراسات المتخصصة فلا توجد إلا دراسة واحدة وقف عليها الباحث، وهي دراسة البراوى، عماد الدين: الملاحم وأشراط الساعة المتعلقة بالشام بين اليهودية والإسلام (٣)، لكن طريقته تحتاج إلى تأمل؛ إذ يجعل النصوص التوراتية وتفسيراتها أصلا ثم يناقشها، ولا بأس عنده من الاستئناس بالنصوص القرآنية وغيرها، انظر مثلا ما جاء في "حزقيال" من التبشير بهلاك فرعون والتعبير عنه بالتمساح الكبير في ملحمة كبرى، حيث ناقش ذلك ليقول بأن هذا التمساح هو الأسطول الأمريكي ... الخ(٤)!! وأحيانا يستأنس بالنصوص الإسلامية مثل مناقشته ملحمة هرمجدون (٥)، وانظر مناقشته مناقشته اعتقاد اليهود في "يأجوج ومأجوج" وأنهم ليسوا أعداء اليهود، وأنهم سيأتون من المشرق

(١) محمد صديق حسن خان: الإذاعة ص/١٤٣-١٤٥.
(٢) البراوي، عماد الدين: الملاحم وأشراط الساعة المتعلقة بالشام بين اليهودية والإسلام، دراسة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة – ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.
(٣) البراوي: الملاحم وأشراط الساعة ص/٩٨-٩٩.
(٤) البراوي: الملاحم ص/١٠٠-١٠٣.
(٥) البراوي: الملاحم ص/١٥٠-١٥٢.



للأرض المقدسة حيث يهلكهم الله ... (١) وانظر مناقشتهم في "المسيح المنتظر" (٢)!! والدراسة لا تخلو من تكلف واضح.

إن الحاجة ماسَّة – في ظل ما سبق من هرج علمي وعملي – إلى دراسة ضابطة لجملة الأخبار الواردة في الباب، مدققة في درجة ثبوتها، متأملة بعمق أقوال العلماء فيها، مجتهدة في شَدِّها بوثاق الواقع بصورة متزنة؛ ليتسنى الاستفادة منها: مادة ونتيجة، من أجل ذلك كانت هذه الدراسة، محاولة جادة لجمع كل الأخبار النبوية الواردة في مسألة الملاحم، وهذه الأخبار – بعد الجمع – كثيرة غزيرة؛ إذ يختلط فيها الضعيف – وما أكثره – بالصحيح؛ لهذا كان من إجراءات الدراسة نَخَل الأخبار للاكتفاء بالصحيح بعد دراسته والحكم عليه، ثم مراجعة كلام شراح الحديث وأهل العلم في اللغة والفقه والكلام، هذا كله بغية الجمع بين صحة الخبر وحُسْن فهمه، ومن ثَمّ قام الباحث بالاستفادة بالتأصيل الأوَّلي اللغوي لمعنى الملاحم؛ ليُخْرِج من الأخبار ما لا يتحقق فيه هذا الضابط؛ ولذا أخرج الباحث من دراسته مثل: قتل المسيح للدجال، وهلاك يأجوج ومأجوج؛ لعدم توافر شرط الملحمية فيهما بالمعنى المذكور في صدر التمهيد (٣).

وثمرة هذه الدراسة هي الإجابة عن بعض الأسئلة التي تمثل خطرا فكريا داهما يعصف بالمجتمعات المعاصرة؛ الشأن الذي يستدعي معه توافر الجهود لفهم "فكر الملاحم" ولا أقول اجتثاثه، وإنما تهذيبه وترشيده!!

ومن هذه الأسئلة: ما المقصود بالملحمة؟ وهل هي قريبة نستعد لها؟ أم هي بعيدة نؤجل

---

(١) البراوي: الملاحم ص/١٥٤–١٥٥.

(٢) فقد أخرج مسلم (٢٩٣٧ –كتاب الفتن) خبر مقتل الدجال على يد المسيح ابن مريم وأيضا هلاك يأجوج ومأجوج من حديث النواس بن سمعان مرفوعا به، ووقع قتل الدجال بباب لُدّ؛ قرية بفلسطين قرب بيت المقدس، انظر لياقوت، عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان (١٥/٥) دار صادر، بيروت، ط٢–١٩٩٥م. أما هلاك يأجوج ومأجوج فلم يكن بملحمة، وإنما أرسل الله عليهم النَّغف في رقابهم –كما في نص الحديث السابق – فماتوا جميعا، والنَّغف: نوع من الدود، واحدته: نَغَفَة، انظر المعجم الوسيط (٩٧٤/٢).

(٣) انظر الكاشغرى، محمود بن الحسين (ت بعد ٤٦٦هـ): ديوان لغات الترك (٢٩٣/١–٢٩٤) دار الخلافة العليَّة – ١٣٣٣هـ.



الاهتمام بها؟ ما هي السياقات التاريخية والكونية المصاحبة لهذه الملاحم؟ من هم الطرف الثاني في ملاحم المسلمين في المستقبل؟ ويا ترى بأي سبب كانت هذه الملاحم؟ هل كانت على المصالح والأطماع أم كانت على الدين والأتباع؟ هل هناك أخبار صحيحة صريحة تجيب عن هذه الأسئلة؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها اتبع الباحث الإجراءات المشار إليها آنفا، وقَسَّم بحثه إلى تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، كان التمهيد إطارا عاما للدراسة، تناول فيه الباحث التأصيل اللغوي والتاريخي والعرفي لكلمة "الملحمة"، ثم إشكاليات الدراسة وأسبابها، ثم مادة الدراسة، وإجراءات الدراسة والأسئلة المتعلقة بروح الدراسة ومقصودها. أما المبحث الأول: فكان بعنوان ملاحم المسلمين والترك، والمبحث الثاني: ملاحم المسلمين والعجم، والمبحث الثالث: ملاحم المسلمين والروم، والمبحث الرابع: ملاحم المسلمين واليهود، أما الخاتمة: فلم تك نمطية، بل هي النهاية الصحيحة لما بعد الملاحم وفق الأخبار النبوية الصحيحة، ومن ثم كانت النتائج والتوصيات.

<u>المبحث الأول: ملاحم المسلمين والترك</u>

من أعلام نبوته ρ قتال المسلمين الترك وقتال الترك لهم، والترك: أمة من الناس، هناك من ينسبها إلى (ترك بن نوح) هكذا قال الكاشغري، وساق بسنده (!!) إلى رسول الله ρ أنه قال: "يقول الله جل وعز إن لى جندا سميتهم "الترك" وأسكنتهم المشرق، فإذا غضبت على قوم سلطتهم عليهم" (١). ولا يخفى بُعْد هذا وعدم صحته؛ إذ المعلوم أن أولاد نوح (سام وحام ويافث)، ورد به الخبر كما في مسند أحمد(٢).

هذا، وقد أمر النبي ρ بعدم التعرض للترك ما تركوا المسلمين، فقال ρ "دعوا الحبشة ما

---

(١) <u>ضعيف</u>. أخرجه أحمد (٩/٥) من حديث أبي هريرة مرفوعا، انظر للألباني (ح/٣٢١٤ – <u>ضعيف الجامع</u>) المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢-١٩٧٩م. وانظر في النسبة وضعف الخبر، لابن تيمية: <u>مجموع الفتاوى</u> (٩٢/٧). وانظر لوهب بن منبه (ت ١١٠هـ): <u>كتاب التيجان في ملوك حمير</u> ص/٣٢، براوية ابن هشام، سلسلة الذخائر (١٠)، القاهرة، أكتوبر – ١٩٩٦م.

(٢) <u>حسن</u>، أخرجه أبو داود (٤٢٨٠ –كتاب الفتن) والنسائى (٣١٧٦ –كتاب الجهاد) وانظر للألباني (ح/٣٣٨٤ – <u>صحيح الجامع</u>).



ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم" (١) ولعل العلة في هذا بأسهم، فكلهم محاربون، حتى المرأة تمتطى الحصان وتستعمل السلاح ... يمتطون الخيل منذ صغرهم ... لذلك يقال عنهم "إنهم ولدوا مع الحصان"(٢)، أيضا بلاد الترك باردة، والعرب – جند الإسلام – بلادهم حارة، فكان ذلك حفظا على جند الإسلام (٣). ومن جنس الترك: التتر (٤)، وكانت معارك التتر مع المسلمين سجالا، وأنهم ساقوا المسلمين ثم كانت الغلبة للمسلمين وانكسر التتر، وانكفأوا إلى بلادهم تاركين الشام ومصر وغيرها.

ثم أذِن الله لهم بالهداية، فكان الخير في جنسهم على يد بركة خان، حفيد جنكيز خان، حيث أسلم وقدمت رسله إلى الظاهر بيبرس ملك مصر في (٦٦١هـ)، وقال له "قد علمت محبتى لدين الإسلام، وعلمتَ ما فعل هولاكو بالمسلمين، فاركب أنت من ناحية، وآتيه أنا من ناحية حتى نَصْطَلِمه أو نخرجه من البلاد، وأيّاً ما كان أعطيتك جميعَ ما كان بيده من البلاد، فاستصوب الظاهر هذا الرأى ... ثم إن بركة خان، تقاتل مع هولاكو ومع كل واحد جيوش عظيمة كثيرة، وهُزم هولاكو هزيمة فظيعة، وقتل أكثر أصحابه، وغرق أكثر من بقى، وهَرَب هولاكو في شرذمة قليلة من أصحابه، ولله الحمد (٥) ثم لما مات هولاكو بالصَّرع، عَمَد بركة خان إلى ابن هولاكو (أبْغا) فهزمه (٦)، ثم توفى بركة خان – رحمه الله – عام خمس وستين وستمائة (٧)، ثم إن الله سبحانه أوقع الخُلْف بين التتار

---

(١) يلمازا وزتونا: تاريخ الدولة العثمانية ص/١٨–١٩، منشورات مؤسسة فيصل، استانبول، تركيا – ١٩٨٨م.

(٢) انظر حول هذا العظيم أبادى: عون المعبود شرح سنن أبى داود (٤١٠/١١)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٣–١٤٠٧هـ =١٩٨٧م.

(٣) ويذكر أنه سموا بالترك لأن ذى القرنين تركهم في جزيرة أرمينية ومضى يطلب يأجوج ومأجوج. انظر في هذا وهب بن منبه: كتاب التيجان ص/١٠٩. وذكر من أتى بعده أنهم قبيل من يأجوج ومأجوج خرجوا لحاجتهم قبل بناء السد ذي القرنين للسد، فلما رجعوا وجدوا السد، فتُركوا هناك، فلم يلحقوا بمن وراءه؛ فسُموا تركا لذلك.

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية (٤٤٨/١٧–٤٤٩)، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١–١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية (٤٦١/١٧).

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية (٤٧١/١٧).

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية (٤٨٣/١٧).

من أصحاب أَبْغا وأصحاب ابن عمه مَنكُوتَمُر، واشتغلوا ببعضهم بعضا (١).

ولعل بأس التتر لم يتضعضع – مع شدته وقسوته – إلا في سنة ٦٨٠هـ حين اقتتل جيش المسلمين بقيادة السلطان المنصور قلاوون والتتري بقيادة سلطان التتر "منكوتَمُر بن هولاكو"، حين انتصر المسلمون وقتل عشرات الآلاف من التتر وجُرح سلطانهم الذي فَرّ من المعركة مع بعض خاصته. ثم إن التتر أخذوا في التفلت والالتجاء إلى مصر وما حولها، وأكرم المسلمون نزلهم، ومنهم من أسلم (٢)، حتى وَلِي أمر التتر الملك قازان بن أرغون بن أَبْغا بن مَولى بن جنكيز خان، فأسلم وأظهر الإسلام ... ودخلت التتر أو أكثرهم فيالإسلام ، وشهد الجمعة والخطبة ... ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد، وكان هذا سنة ٦٩٤هـ (٣).

وبعد مقتل قازان بالسم قرب همذان تملك التتر أخوه خربندا، ومنهم من يسميه خدابنده؛ أى عبد الله بالفارسية، وكان نصرانيا اسمه نيقولاوس، ثم أسلم وسُمى محمدا وغياث الدين، فلما مات ملك بعده ابنه أبو سعيد، فأظهر السنة ... (٤).

بعد هذه المقدمة يمكن عرض هذا المبحث في المطالب التالية:
المطلب الأول: قتال الترك في الأخبار النبوية والسياقات التاريخية.
المطلب الثاني: تأصيل علاقة (التتر/المغول) بالترك.
المطلب الثالث: ملاحم المسلمين والترك.

المطلب الأول: قتال الترك في الأخبار النبوية والسياقات التاريخية.

(١) انظر مثلا لابن كثير: البداية والنهاية (١٧/٦٥٤، ٦٨٣).
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية (١٧/٦٧٦).
(٣) انظر في هذا سليمان بن خليل بن بطرس جاويش (ت بعد ١٢٩٠هـ): التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية (١/١٤) المكتبة المكتبة العمومية، بيروت – ١٨٨٧م.
(٤) متفق عليه. أخرجه البخاري (٢٩٢٨ –كتاب الجهاد/باب قتال الترك) ومسلم (٧٣١٠ –كتاب الفتن) من حديث أبي هريرة هريرة مرفوعا به، واللفظ للبخاري.

أخبر النبي ρ صراحة بقتال الترك، فقال ρ "لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك؛ صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشَّعر" (١). وفي لفظ مسلم "حتى يقاتل المسلمون الترك". وقد فَسَّر أهل العلم أن القوم الذين نعالهم الشَّعْر هم أصحاب بابك الخُرَّمى، وقد ظهرت شوكتهم زمن العباسيين وقوتلوا .. لكن – والله أعلم – هذا القول يحتاج إلى تأمل، فقد ورد الخبر الصحيح أن الترك هؤلاء أيضا بأوصافهم يلبسون الشعر، فعن أبى هريرة τ أن النبي ρ قال: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم، حُمْر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، كأن وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر" (٢).

وعليه فقد يفهم بأن القوم الذين يلبسون الشعر ليسوا مغايرين للترك، بل هم منهم، أو صنف منهم، وهذا ما أميل إليه، يدل عليه الفهم الدقيق لقراءة تاريخ العمليات العسكرية الإسلامية – التركية منذ زمن عبد الملك بن مروان سنة ٧٩هـ حين حدث أول قتال بين جيش المسلمين بقيادة عبيد الله بن أبي بكرة وملك الترك الأعظم "رتبيل" وأوغل المسلمون في بلاده وتم الصلح (٣)، في سنة ٨٠هـ قطع المهلب بن أبي صفرة نهر بلخ وأقام بـ "كشّ" سنتين صابرا مصابرا للترك (٤). في سنة ٨٦هـ غزا قتيبة بن مسلم نائب الحجاج مرو وخراسان وبلاد كثيرة من أرض الترك وغيرهم من الكفار (٥) ثم غزاهم مرة ثانية سنة ٨٧هـ(٦) وقتال المسلمين لهم في سنة ٩١هـ (مرتان) ثم سنة ٩٢ ثم سنة ٩٩هـ في عهد عمر بن عبد العزيز، ثم سنة ١٠٢هـ، ثم سنة ١١٢هـ، ثم سنة ١١٩هـ حيث قتل المسلمون بقيادة أسد بن عبد الله القسرى ملك الترك الأعظم خاقان (٧)، ثم غزو نصر بن سيار أمير خراسان

(١) أخرجه البخاري (٣٥٩٠ –كتاب المناقب).
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية (٢٨٥/١٢، ٢٩٠).
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية (٢٩٦/١٢).
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية (٣٧٥/١٢).
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية (٤١٥/١٢).
(٦) انظر بالترتيب لابن كثير: البداية والنهاية (٤٣١/١٢، ٤٣٢، ٤٣٧، ٦٥٨، ٧٢٩) و (٦١/١٣، ٨٥).
(٧) ابن كثير: البداية والنهاية (٩٩/١٣–١٠٠).

الترك سنة ١٢٠هـ وأسر ملكهم "كورصول" (١)، وأيضا سنة ١٤٧هـ، ثم سنة ١٤٨هـ(٢)، وفي سنة ٢٨٠هـ في خلافة المعتضد بالله العباسي، وكان من خيار خلفاء بني العباس ورجالهم (٣) غزا إسماعيل بن أحمد السامانى بلاد الترك وفتح مدينة ملكهم وأسر امرأته الخاتون وأباه ونحوا من عشرة آلاف أسير (٤). ثم لم يرد لهم ذكر حتى كانت مواقعهم مع خوارزم شاه في حدود سنة ست عشرة وستمائة (٥).

ظاهرٌ أن العمليات العسكرية منذ (٧٩هـ - ٢٨٠هـ) كانت لصالح المسلمين على الترك، ثم من سنة ٦١٦هـ إلى وقت ٦٦١هـ (وهو وقت إسلام بركة خان وشق الإسلام طريقه إلى التتر) كانت الحرب سجالا، أحيانا ينتصر التتر وأحيانا المسلمون، ثم بعد ذلك التاريخ كان انشغال التتر بأنفسهم أعظم، وانكفأوا عن ديار الإسلام بعد هذا التاريخ بقليل ...!!

المطلب الثاني: تأصيل علاقة (التتر/المغول) بالترك.

مَرّ الكلام عن قتال المسلمين للترك، وفي بعض الأدبيات النصية التاريخية نجد بدلا من "التتر" لفظ "المغول" - كما سيأتي - فيا ترى ما العلاقة بين الترك والتتر والمغول؟ ما هو الطرف المقابل للمسلمين الذين حوربوا؟ لبيان هذه العلاقة وتحرير مَنْ قام المسلمون - بدقة - بقتالهم: يمكن تركيز المطلب في النقاط التالية:

أولا: ما العلاقة بين التتر والمغول؟ أهما شعبان؟ أم هما اسمان لمسلمى واحد؟ وما هو اللفظ الدوَّار الأكثر دقة؟ إنه بتتبع أخبارهم في كتب التاريخ وُجِدَ أن الاستعمال الأكثر هو "التتر" لا "المغول"، فمن خلال عدة عشرات من المواضع في مجلد واحد (كنموج) من كتاب البداية والنهاية لابن

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية (١٣/٤٠٦، ٤٠٩ - على التوالي).
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية (١٤/٦٤٤).
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية (١٤/٦٥٢).
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية (١٧/١٦).
(٥) هذه المواضع من البداية والنهاية لابن كثير ج١٧.



كثير، ذكر فيها "التتر" – وجدنا ذكر المغول في خمسة مواضع فقط، فمن مواضع ذكر "التتر" ص (١٥٩، ١٦٠، ٣٥٦، ٤٣٢، ٤٣٨، ٤٤٨، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٦، ٥٠٥، ٥١٠، ٥١٦، ٥٣٣، ٥٧٥، ٦٥٤، ٦٨٣، ٧١٧) (١) والمواضع الخمسة لذكر "المغول": ٤٣٢/١٧، ٤٤٩، ٦٤٠، ٥٢٥، ٧٢١، وأحيانا يذكر بما يدل على أن هؤلاء هم هؤلاء، انظر مثل هذه الجمل: وملك التتر أرغون بن أَبْغا (٢) وملك التتر قازان بن أرغون (سلطان التتر)(٣) ويذكر ابن كثير ويقول اتهمت المغول اليهود بقتل (يقصد أرغون بن أبغا)(٤) ويقول عن جنكيز خان "واتبعته طوائف من التتر (٥) ويقول عنه إن إن "السلطان الأعظم عند التتار"(٦) [هكذا: التتار] وأحيانا يرادف بين التتر والمغول، فيذكر أنه في سنة ٦٥٧هـ أحاطت جيوش المنصور بالتتار من كل جانب ... وأُسِر جماعة من أمراء المغول (ثم أتى أبغا) وشاهد مكان المعركة ومن فيها من قتلى المغول فغاظه ذلك وأعظمه (٧)، وفي سنة ٦٥٩هـ ٦٥٩هـ يذكر ابن كثير وقعة قازان ووصفه بأنه سلطان التتار (ص/٧١٩)، ثم يقول "وفى يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر خُطِب لقازان على منبر دمشق بحضور المغول بالمقصورة ... (٨).

لكن يمكن القول بأن "التتر" هو الاسم الأغلب، وأن المغول جزءٌ من "التتر"، فإذا انفردوا فقط "سموا بالمغول وهو خصيص اسمهم، وإذا اشترك معهم غيرهم سُمُّوا بالتتر فقط من غير اسم "المغول"، يدل على هذا ما قال ابن كثير "ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستمائة: لما كان يوم الخميس ثامن جُمادى الآخرة: نزل التتار عند البيرة في ثلاثين ألف مقاتل؛ خمسة عشر ألفا من المغول وخمسة عشر ألفا من الروم، والمُقَدَّم على الجميع البَرْواناه، بأمر أَبْغا ملك التتر ... (٩).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية (٦٤٠/١٧).
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية (٧١٩/١٧).
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية (٦٤٠/١٧).
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية (١٦٠/١٧).
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية (١٥٩/١٧).
(٦) ابن كثير: البداية والنهاية (٢٥٢/١٧).
(٧) ابن كثير: البداية والنهاية (٧٢١/١٧).
(٨) ابن كثير: البداية والنهاية (٥١٩/١٧).
(٩) ابن كثير: البداية والنهاية (١٦٤/١٧).

ثانيا: علاقة (التتر/المغول) بالترك؟ لقد فهم ابن كثير أن التتر هم الترك، فقد ذكر ابن كثير سبب حرب جنكزخان للمسلمين بسلطان خوارزم شاه: "أن عمال خوارزم شاه عَدَوْا على تجار من جهة جنكزخان، فلما أرسل إلى خوارزم شاه يستعلمه، قتل خوارزم شاه رسول جنكز خان، يقول ابن كثير عن فعله خوارزم شاه "فأساء التدبير وكبرت سنه، وقد ورد الحديث "اتركوا الترك ما تركوكم" فلما بلغ ذلك جنكز خان تجهز لقتاله وأخذ بلاده، فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يُسْمع بأغرب منها ولا أبشع (١). ويؤكد كلام ابن كثير الكاشغرى، حيث يذكر أن قبائل الترك عشرون، منها منها ما يعيش قرب الصين، ومنها ما يكون بحذاء الروم ممتدة إلى الشرق، ومن قبائل الترك قرب الصين "التتار" (٢) فمن جملة القبائل التركية (الأوزبيك – القازاخ – التتر – الآزاريون – التركمان – القرغيز ...) (٣)، وفي حدود بلادالترك: حدود الصين حتى شواطئ بحر الخزر (قزوين حاليا) (٤). (٤). ويقال إن ذا القرنين جاوز بلادهم، وكان ملك الترك فتى يسمى (شُو) (٥). إذن هذه المنطقة الواسعة التي موطن الترك (ومنهم التتر أو المغول) (٦) يخضع جزء منها للروس وجزء آخر للصين (٧). ويقرر الجغرافيون والمؤرخون المعاصرون أن المكان الذي يتركز فيه التتر: الفولغا الأوسط وسيبريا، ويقدر عدد التتر الآن في الاتحاد السوفيتى بـ ٦.٣١٧.٠٠٠ على حسب إحصاء (١٩٧٩م)

---

(١) الكاشغرى: ديوان لغات الترك (١/٢٧–٢٨). وانظر في هذا و.بارتول: تاريخ الترك في آسيا الصغرى ص/٤٥ ترجمة د. أحمد أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٦م. وانظر في كون التتر عرقا من أمة الترك، مقال: نور الدين موصللو: التركمان في رحم التاريخ والحضارة ص/٣، مجلة الإخاء، العراق العدد (٣٠٦) – ٢٠٠٤م.

(٢) ألكسندر بينيفسن، وشانتال لوميريه كيلكجاي: المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ص/٦٣، ترجمة/ عبد القادر ضللى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١–١٤٠٩هـ =١٩٨٩م.

(٣) طقوش، د. محمد سهيل: تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ص/١٥، دار النفائس، بيروت ط١–١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

(٤) الكاشغرى: ديوان لغات الترك (٣/٣٠٤–٣٠٥).

(٥) انظر في هذا طقوش: تاريخ سلاجقة الروم ص/١٦.

(٦) و. بارتول: تاريخ الترك في آسيا الصغرى ص/١٢.

(٧) ألكسندر، وسانتال: المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ص/٦٣.

(١). ويذكرون أن هذا الموطن (حوض نهر الفولغا) هو موطن التتر منذ العصور القديمة إلى أن حوله بركة خان أمير القبيلة الذهبية التترية إلى حوض إسلامى خالص سنة ٦٥٤هـ (٢).

كل هذه الأقوال – علميا – يمكن دراستها ومناقشتها، لكن حسبنا كلام رسول الله ρ الذي أخبر عنهم وعن أوصافهم، فالترك في الخبر ١- صغار الأعين ٢- حمر الوجوه ٣- ذلف الأنوف ٤- كأن وجوههم المجان المطرقة ٥- نعالهم الشعر، وذكر أهل العلم الذين عاصروهم كالنووى ثم من بعدهم كابن كثير أنهم التتر أو المغول (على النزاع الذي حسمناه قبل)، فتبين أن التتر هم الترك الذين عناهم رسول الله ρ، وعليه، فإن المقصود بالترك، ليس أمة الترك التي تضم أمما وأعراقا وشعوبا، لكن يقصد بها من اتصف بالصفات النبوية المذكورة، وعليه فالخبر النبوى. لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك "(أل) في "الترك" لا تحمل على العموم، وإنما تحمل على العهد؛ أى الترك المعهودين بالصفات المذكورة المختصين بها (٣).

وورد في كلام المؤرخين وعلماء الأخبار والجغرافيا ممن سبق النقل عنهم، أن موطنهم "التبت" وأن دولتهم جاورت الصين، وبالنظر إلى ملامح أهل البلاد (الصين – بورما – اليابان – ....) نجد أن أوصافهم هي أوصاف الترك المذكورين في الخبر النبوى تماما، وإن حدث تغير فهو طفيف لدى بعض الأفراد، لا عند كلهم، وذلك نظرا للهجرات المتتالية عبر الزمن (٤).

المطلب الثالث: ملاحم المسلمين والترك.

لم تك الملاحم بينهم إلا سجالا، تارة يسوقون وتارة يساقون، ثم في النهاية تكون الملحمة التي فيها يصطلمون، وعليه فستعرض مادة هذا المطلب في النقاط الآتية:

---

(١) انظر د. شوقى أبو خليل: أطلس دول العالم الإسلامي ص/١٦٤-١٦٥، دار الفكر، دمشق، ط٤-١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م.

(٢) في أنواع (أل) في اللغة، ومتى تصرف من معنى العموم إلى معنى العهد والخصوص، انظر للباحث: دور اللغة في تفسير القرآن، دراسة في تراث ابن تيمية ص/٩١-١٠١، دار الحارثي، المنصورة، ط١-١٤٢٣هـ =٢٠٠٢م.

(٣) و. بارتول: تاريخ الترك ص/٤٧.

(**) الحَجَف: نوع من التروس، واحدتها (حَجَفَة). انظر المعجم الوسيط (١/١٦٤).



أولا: أحاديث سَوْق الترك للمسلمين، عن عبد الله بن بريد بن الحصيب عن أبيه، قال: كنت جالسا عند النبي ρ فسمعت النبي ρ يقول: "إن أمتى يسوقها قوم عِراض الأوجه، صغار الأعين، كأن وجوههم الحَجَف (**)، ثلاث مرات، حتى يلحقوهم بجزيرةِ العَرَب، أما السائقة الأولى فينجون منهم" قالوا: يا نبى الله! من هم؟ قال: هم الترك" قال: أما والذي نفسى بيده ليربطن خيولهم إلى سوارى مساجد المسلمين" قال: وكان بريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية – يعد ذلك للهرب؛ مما سمع من النبي ρ من البلاء من أمراء الترك (١). وفي لفظ البزار "كأن وجوههم المجان المطرقة، فيلحقون أهل الإسلام بمنابت الشيح ..." الحديث (٢).

ثانيا: أحاديث سوق المسلمين للترك، عن عبد الله بن بريدة بن الحصيب عن أبيه، عن النبي ρ في حديثه: "يقاتلكم قوم صغار الأعين – يعنى الترك – قال: تسوقونهم ثلاث مِرار، حتى تلحقوهم بجزيرة العرب، فأما في السياقة الأولى، فينجو من هَرَب منهم، وأما في الثانية فينجو بعض ويهلك بعض، وأما في الثالثة فيُصْطلمون" (٣). وقد ساق العظيم أبادى الحديثين، وأظهر أن المخالفة بين الحديثين بينة لا يظهر وجه الجمع بينهما، ثم قال "وبَوَّب القرطبي في التذكرة بلفظ "باب في سياقة الترك للمسلمين وسياقة المسلمين لهم" ثم أورد فيه رواية أحمد ورواية أبى داود المذكورتين، وقال: إنى لست أدرى ما مراده من تبويب بهذا اللفظ إلا إن أراد به الجمع بين روايتى أبى داود وأحمد بأنهما محمولتان على زمانينمختلفين، ففى زمان يكون سياقة الترك للمسلمين، وفي زمان آخر يكون سياقة المسلمينلهم، فهذا بعيد جدا كما لا يخفى على المتأمل!! وإن أراد غير هذا، فالله تعالى أعلم بما أراد. وعندى أن الصواب هي رواية أحمد، وأما رواية أبى داود فالظاهر أنه قد وقع الوهم فيه من بعض الرواة ... ويؤيده أيضا أنه وقع الشك لبعض رواة أبى داود ... ويؤيده أيضا أنه وقعت الحوادث على

---

(١) حسن. أخرجه أحمد (٥/٣٤٨-٣٤٩) والحاكم (٤/٤٧٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي (٧/٣٣١ – مجمع الزوائد) ورجاله رجال الصحيح، وصححه القرطبي انظر له "التذكرة" (٣/١١٧١).

(٢) حسن بطرقه. أخرجه أحمد (٥/٣٤٨) والبزار (٤٣٩٩) والحاكم (٤/٤٧٤) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) حسن. أخرجه أبو داود (٤٢٨٣ –كتاب الجهاد/باب: في قتال الترك).



نحو ما ورد في رواية أحمد، فقد قال القرطبي في التذكرة: والحديث الأول؛ أي حديث أحمد على خروجهم وقتالهم المسلمين وقتلهم ... فخرج منهم في جمادى الأولى سنة سبع عشرة وست مائة جيش من الترك يقال له الططر ... فقتلوا ما وراء النهر ... وكانت استطالتهم على ثلثي بلاد المشرق الأعلى، وقتلوا من الخلائق ما لا يحصى ... وربطوا خيولهم إلى سوارى المساجد والجوامع ... ولا شك أنهم هم المنذر بهم في الحديث، وأن لهم ثلاث خرجات يصطلمون في الأخيرة منها ... (١). ثم يذكر القرطبي أن هذا الاصطلام كان في عهد قطز، حيث قتل منهم جمع كثير وعدد غزير، وارتحلوا عن الشام من ساعتهم، ورجع جمعهم كما كان ... وعبروا الفرات منهزمين ... وراحوا خائبين خاسرين مدحورين أذلاء صاغرين (٢)أه.

ثالثا: اصطلاح الترك في ملحمة المستقبل، إن اجتهاد بعض أهل العلم في اسقاط المخبر به في الحديث على زمن مضى وانقضى لهو جدير بالتأمل!! وللوصول إلى هذا المفهوم كانت محاولة همز حديث أبى داود، والذهاب إلى مخالفة أحد رواته وقلبه للرواية، وهذا الصنيع لهو أَيْسَر ما يمكن (٣)؛ لأنه بذلك لا تعارض في الظاهر!! وهذا الاجتهاد فيه نظر؛ لدليلين صحيحين صريحين، أولهما: أن الناظر إلى ألفاظ الحديث في الروايتين يجد أن هناك سوقا بين المسلمين والترك، تارة يسوق الترك المسلمين، وتارة يسوق المسلمون الترك، لكن ما النهاية؟ هي الاصطلام، والاصطلام في اللغة – يعنى: الاستئصال والإبادة، وأصله من "الصلم" وهو القطع فإذا أبيد قومٌ من أصلهم قيل: اصْطُلِموا، ويقال: اصطلمت أذنه: إذا استوفيت بالقطع، وأنشد الفراء:

ثُمَّ اصطلمت إلى الصما ∴ خ فلا قرنٌ ولا أُذُنْ(٤)

---

(١) العظيم أبادى: عون المعبود (٤١٤/١١-٤١٦) وانظر الخبر عند القرطبي "التذكرة" (١١٧١/٣-١١٧٤).

(٢) القرطبي:التذكرة (١١٧٤/٣).

(٣) وهذا ما مال إليه آنفا العظيم أبادى، وأيده الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان: العراق فى أحاديث وآثار الفتن (٣٠١/١)، مكتبة الفرقان، دبى، الإمارات، ط١-١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

(٤) انظر لابن منظور: اللسان (٢٤٨٨/٤-٢٤٨٩) وللقرطبي: التذكرة (١١٧١/٣) ولابن الأثير، المبارك بن محمد الجزرى (ت ٦٠٦هـ): جامع الأصول فى أحاديث الرسول (٣٧٨/١٠)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر، بيروت، ط٢-١٤٠٣هـ =١٩٨٣م. والبيت المذكور من مجزوء الكامل، وقد ضبطته، فليصح في المصادر المذكورة.

والمتتبع لسير العمليات العسكرية بين المسلمين والتتر – وقد أبنت هذا سالفا – يجد أن السَّوق متبادل، لكن لم يحدث إلى الآن "الاصطلام" الذي أخبر به النبي ρ، وهو لا محالة واقع؛ لأنه ρ الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، وهذا ما سيكون في آخر الزمان، ولم يأت بعد؛ ولهذا وُفِّق القرطبي في تبويبه "باب سياقة الترك للمسلمين وسياقة المسلمين لهم"(١) وعلى هذا التصور يمكن فهم صنيع بريدة بن الحصيب لما حبس دوابه ومتاع سفره خوفا من بلاء أمراء الترك!! (وقد سبق) ويمكن فهم نهى معاوية τ عن قتال الترك، فعن معاوية بن خُدَيْج قال: كنت عند معاوية بن أبى سفيان τ حين جاءه كتاب عامله يخبره أنه أوقع بالترك وهزمهم ... فغضب معاوية τ في ذلك، ثم أمر أن يكتب إليه: "قد فهمت ما ذكرت مما قتلت وغنمت، فلا أعلمنَّ ما عُدْتَ لشيء من ذلك، ولا قاتلتهم حتى يأتيك أمرى"، قلت له: لم يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعت رسول الله ρ يقول: لتظهرن الترك على العرب، حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم. فأكره قتالهم لذلك (٢).

٢- الدليل الثاني، عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته قالت: خطب رسول الله ρ وهو عاصب أُصْبعَه من لدغة عقرب، فقال: إنكم تقولون "لا عدو"، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوا حتى يأتى يأجوج ومأجوج؛ عراض الوجوه وصغار العيون، شُهْب الشِّعاف، من كل حدب ينسلون؛ كأن وجوههم المجان المطرقة" (٣).

فقوله ρ "لا تزالون تقاتلون عدوا حتى يأتى يأجوج ومأجوج" المضارع يدل على الاستمرار والعموم الزمانى والحدثى لاسيما إن أتى في سياق النفى (٤)، و(لا) هنا ليست العاطفة أو الجوابية، وقد دخلت على الفعل المضارع لتخلصه للاستقبال، وهذا مذهب سيبويه ونص عليه الزمخشرى

(١) القرطبي: التذكرة (١١٧٠/٣).

(٢) صحيح بطرقه. أخرجه أبو يعلى في "المسند" (٣٦٦/١٣ ح/٧٣٧٦). وقد جمع طرقه وحكم عليه مشهور آل سلمان في "العراق" (٣٠٧/١-٣١٠).

(٣) إسناده حسن. أخرجه أحمد (٢٧١/٥)، شُهْب جمع "الشهبة": وهو أن يخالط بياض شعره سواد، والشِّعاف: جمع (شَعَفة) وهي: خصل الشعر في الرأس، انظر: المعجم الوسيط (٥١٦/١ و٥٠٤ – على الترتيب).

(٤) انظر للباحث: دور اللغة في تفسير القرآن ص/٣٠٨-٣٢٥.



ومعظم المتأخرين (١)، ثم هذا الاستمرار والعموم الحدثى والعموم الزمنى إلى المستقبل مقيد بالغاية، وهذا نظير قوله سبحانه { ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ... ے } [البقرة: ٢١٧] لكن الثاني مقيد بالعلة (٢).

لقد بَيَّن النبي ρ أن قتالنا للترك وهم (عراض الوجوه، صغار العيون، وجوههم كأنها المجان المطرقة) كائن إلى زمن يأجوج ومأجوج، ولعل "اصطلامهم يكون في هذا الزمان – والله أعلم – وإذا كان السِّلم والمباعدة قد حصلت بين المسلمين وبين (التتر) منذ قرون، فما الضير أن تعود العداوة والمقاتلة – كما أخبر النبي ρ حتى يأتى وقت الاصطلام!! ولعل الظاهر أن هذا الجنس من البشر الذين أخبر النبي ρ عن أوصافهم والذين سيصطلمون آخر الزمان هم الصينيون ونحوهم من عبدة (بوذا والأوثان) لا من أسلم، والله أعلم.

إن الصين واليابان ومن كان مثلهما في الشبه والنحلة يمثلون ثلث سكان العالم تقريبا، فسكان الصين (حتى ديسمبر ٢٠١٠) ١.٣٤١.٥٦٠.٠٠٠ يمثلون ١٩.٤٣% من إجمالى عدد سكان العالم البالغ ٦.٩٠٣.٩٠٠.٠٠٠ واليابان حتى تاريخه ١٢٧.٥٩٠.٠٠٠ والفلبين ٩٢.٢٢٢.٦٦٠ وفيتنام ٨٥.٧٨٩.٥٧٣ وتايلند ٦٣.٣٨٩.٧٣٠ وميانمار ٥٠.٠٢٠.٠٠٠ ودول أخرى (٣)، إنها نسب كبيرة وكثافة سكانية عظيمة، وهذا ما حدا بالبعض ليجعل منهم يأجوج ومأجوج لكثرتهم، وأنهم من كل حدب ينسلون!! وبؤرة هذا الكيان التترى – والله أعلم – الصين!! إننا إذ نتحدث عن الصين، إنما نتحدث عن صعود قوة عظمى من جميع النواحى: قوة شاملة تملك القدرة الاقتصادية، وتحظى بثقل سياسى

(١) انظر المرادى، الحسن بن قاسم (ت ٧٤٥هـ): الجنى الدانى في حروف المعانى ص/٢٩٦. تحقيق/ د. فخر الدين قباوة والأستاذ/ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١–١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

(٢) في تقييد الفعل المضارع تارة بالعلة وتارة بالغاية، انظر لأبى حيان: البحر المحيط (١٥٠/٢).

(٣) نقلا عن موسوعة: ويكيبيديا.



(خاصة في آسيا ...) وتملك قوة عسكرية ... وتملك أكبر جيش عامل في العالم (١).

لا ينبغى علينا – نحن المسلمين – أن نحقر من الصين كما يفعل الغرب، بل يجب أن نُعِدَّ العدة، ونرسم الخطط المستقبلية لمقاومتهم!! ولعل غزوهم لنا الآن غزو اقتصادي!!(٢) ولكن من يَدْرى، لعلهم يخبئون لنا خبيئا.

المبحث الثاني: ملاحم المسلمين والعجم

قال رسول الله ρ : "يوشك أهل العراق ألا يجيء إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبل العَجَم، يمنعون ذلك ..." الحديث (٣). وذكرنا كلام الإمام النووى الذي رجح أن المنع سببه: استيلاء العجم على البلاد ليمنعوا حصول ذلك للمسلمين، ورأى النووى – رحمه الله – أن ذلك كائن في زمنه!! (٤) لكن هل يستقيم فهم الإمام النووي لهذا الخبر؟! لإيضاح ذلك وإجلاء معالم هذه الملحمة، كان من المهم عرض المبحث في المطالب التالية:

المطلب الأول: تحرير مصطلح "العجم" الوارد في الأخبار النبوية.

المطلب الثاني: خطورة العجم على المسلمين وديارهم.

المطلب الثالث: ملاحم المسلمين والعجم.

المطلب الأول: تحرير مصطلح "العجم" الوارد في الأخبار النبوية.

العجم (فى اللغة العربية): كل من لا يقدر على الكلام العربى – فهو أعجم

(١) دانييل بورشتاين، أرنيه دى كيزا: التنين الأكبر، الصين في القرن الواحد والعشرين ص/١٤٧ ترجمة شوقى جلال، عالم المعرفة، الكويت، عدد (٢٧١)، يوليو ٢٠٠١م.

(٢) في غزو المنتج الصينى للأسواق المصرية والعربية – حتى الجلباب وقلنسوة الرأس وسجادة الصلاة إلى ثَوْم الطعام!! إلى الفلفل والكرنب(!!) انظر للباحث: الوقف الإسلامي والاقتصاد المصري الحالي (١٩٥٢م – ٢٠٠١م) العلاقة، الواقع، الدور ص/٢٦، دار الحارثي، المنصورة، مصر، ط١–١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

(٣) أخرجه مسلم، سبق.

(٤) النووى، محيى الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ): المنهاج شرح مسلم (٢٠/١٨)، المطبعة المصرية، القاهرة (د.ت).



ومستعْجِم (١). والعجم: خلاف العرب (٢)، والعجم (فى اللغة الفارسية): الإيرانى (٣)، وإيران اسم الدولة التي تضم فارس وخراسان وأذربيجان ... (٤) والعجم – أيضا – (فى اللغة الفارسية): غير العرب من الفرس والترك والغربيين، وأيضا: العجم: بلاد إيران (٥).

وفى الاستعمال العرفى والدينى واللغوى: فإن العجم مصطلح يطلق ويقصد به أهل فارس، وكل فارسى فهو عجمى، يدل على ذلك استعمالا: عن معبد بن أبى طلحة اليعمرى، أن عمر بن الخطاب τ قام على المنبر يوم الجمعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر رسول الله ρ، وذكر أبا بكر τ، ثم قال: رأيت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلى، رأيت كأن ديكا نقرنى نقرتين، قال: وذكر لى أنه ديك أحمر، فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة أبى بكر τ، فقالت: يقتلك رجل من العجم ..." الحديث (٦). ويذكر الطبري أن ملوك الأندلس الذين قاتلهم طارق بن زياد سنة ٩٢هـ من أصفهان، وسماهم ملوك العجم بالأندلس (٧). وأصفهان: إحدى أقاليم بلاد فارس (٨)، وأصفهان وأصبهان بمعنى واحد (٩). وهناك عراق العرب (الكوفة والبصرة) وعراق العجم(١٠) الذي يشمل: الرى وأصفهان الجبل (١١)، ولنتأمل هذه الجمل التي ذكرها المؤرخون لنفهم ماذا تعنيه كلمة (العجم): إنهم

(١) الهروى، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ): غريب الحديث (٢٨٢/١) دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط١–١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

(٢) محمد فريد وجدى: دائرة معارف القرن العشرين (٢٠٤/٦) دار المعرفة، بيروت، ط٣–١٩٧١م.

(٣) د. محمد التنوجى: المعجم الذهبي (فارس/عرب) ص/٤٠٣ دار العلم للملايين،بيروت، ط١–١٩٦٩م.

(٤) د. محمد التنوجى: المعجم الذهبي ص/٨٥.

(٥) د. عبد النعيم محمد حسنين: قاموس الفارسية ص/٤٦٠، دار الكتاب المصرى، القاهرة، ط١–١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

(٦) أخرجه أحمد (١٥/١).

(٧) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك (١١/٤) دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣–١٤١١هـ =١٩٩١م.

(٨) انظر في هذا ياقوت: معجم البلدان (٢٠٧/١).

(٩) انظر كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص/٥٣٧.

(١٠) كى لسترنج: بلدان الخلافة ص/٢٢١.

(١١) القلقشندى، أحمد بن عبد الله (ت ٨٢٠هـ): مآثر النيافة فى معالم الخلافة ص/١٣٧، عالم الكتب، بيروت، ط١–١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

الفرس؛ ساكنو إيران الآن (١)، نقرأ النص التالي "بعد دخول طغرلبك بابنة الخليفة العباسى (القائم بأمر الله) سار سنة خمس وخمسين وأربع مائة إلى بلاد الجبل وهي عراق العجم (٢)، واستولى جنكز جنكز خان ملك التتر على بلاد الجبل وهي عراق العجم (٣).

خريطة ولايات المملكة العثمانية،
ويظهر فى الجانب الأيمن منها: "بلاد العجم"، إيران حاليا (*). انظر صورة ١

وقد استقر في الدراسات التاريخية والجغرافية عبر القرون أن هذه البلاد المذكورة هي بلاد فارس وهي أرض العجم – كما سبق – ثم استمر هذا الإطلاق حتى عصر الدولة العثمانية مؤخرا، من ذلك: أمر السلطان سليم الأول بحصر عدد الشيعة المنتشرين في الولايات المتاخمة لبلاد العجم (٤)– يقصد بلاد فارس (إيران الآن) –. "وسار الجيش العثمانى تحت قيادة السلطان سليم نفسه – كما جرت به العادة – قاصدا مدينة "تبريز" عاصمة العجم، وكانت الجيوش الفارسية تتقهقر أمامه" (٥). وعندما أقبل الربيع بنضارته رجع السلطان إلى بلاد العجم ففتح قلعة كوماش الشهيرة وذى القدير القدير سنة ١٥١٥م، ثم رجع إلى القسطنطينية تاركا قواده لإتمام فتح الولايات الفارسية الشرقية (٦).

لقد فتح المسلمون بلاد فارس، فهل ستكون ملاحم بيننا وبين أهل فارس في آخر الزمان؟ وهل هم العدو الذي سنقاتله مع الروم؟، الجواب، لعله هو العدو المحتمل محاربته عند تحالفنا مع الروم – والله أعلم –، أمَا هل سنقاتلهم آخر الزمان؟ فالجواب: هو ما دلت عليه الأخبار النبوية في تحقق ذلك – والله أعلم – والأدلة على ذلك:

---

(١) انظر الخريطة التالية.
(٢) القلقشندى: مآثر النيافة ص/١٥٨.
(٣) القلقشندى: مآثر النيافة ص/١٩٤.
(*) نقلا عن موسوعة: ويكيبيديا.
(٤) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص/١٨٩، تحقيق د. إحسان حقى، دار النفائس، بيروت، ط٩–١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م.
(٥) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية ص/١٩٠.
(٦) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية ص/١٩١.

الحديث الذي سبق وجعلناه في صدر المطلب "من قِبل العجم" وقد علمنا أن العجم هم الفرس، وأنهم ساكنو بلاد إيران الحالية – والله أعلم –.

يرشح لهذا المعنى المهم ما رواه البخاري – رحمه الله – قال: حدثنا على بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال إسماعيل، أخبرنى قيس، قال: أتينا أبا هريرة τ فقال: صحبت رسول الله ρ ثلاث سنين، لم أكن في سِنِّى أحرص على أن أعِى الحديث منى فيهنَّ، سمعته يقول – وقال هكذا بيده – "بين يدى الساعة تقاتلون قوما نعالهم الشَّعر" وهو هذا البارز. وقال سفيان: وهم أهل البارزِ (١)، قال ابن الأثير: ويعنى بأهل البارز أهل فارس، وكذا هو بلغتهم (٢). قلت: لعل البارزِ (بالراء ثم الزاى المكسورة): صورة صوتية عن الاسم الفارسى بارسى بمعنى الفارسى أو الإيرانى (٣). ذكر أهل العلم أن المقصود بهم أتباع بابك الخُرَّمى، وكانوا يلبسون الشعر، وقد اتسعت فتنتهم وقاتلوا المسلمين فقتلوا منهم خلال عشرين سنة أكثر من مائتى ألف مسلم – وإنا لله، وقد قتله المعتصم وقضى على فتنته سنة ٢٢٣هـ (٤).

هذا كلام متجه، ولا يمنع أن يظهر في هذه النواحى آخر الزمان من يلبس الشعر ونقاتله كما أخبر النبي ρ . لكن هنا معنى جدير أن يلتفت إليه؛ ذلك أن الملحمة مع العجم ليس باعتبار أنهم يسكنون إيران، لكن باعتبار ما هم عليه من مخالفة الإسلام وعقيدته وأخلاقه السمحة الفاضلة؛ ولهذا أتت أخبار النبي ρ في قتال الهند؛ ولعل العلة في ذلك، أن الهند امتداد وثيق لفارس عقيدة وعلاقة وتحالفا وتطابقا للمواقف إقليميا ودوليا (٥). ومن هذه الأخبار النبوية قوله ρ : "عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى عليه السلام" (٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٩١ –كتاب المناقب).

(٢) ابن الأثير: جامع الأصول (٣٧٦/١٠).

(٣) انظر في هذا د. عبد النعيم محمد حسين: قاموس الفارسية ص/١٢٣.

(٤) انظر لابن كثير: البداية والنهاية (١٤–٢٤٤–٢٥٠).

(٥) انظر موقع البينة، دورية السياسة الخارجية الإيرانية، مقال: العلاقات الإيرانية الهندية (١٩٤٧–٢٠٠٠).

(٦) صحيح. أخرجه أحمد (٢٧٨/٥) والنسائي (٦٤/٢ –كتاب الجهاد) وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة ح/١٩٣٤.



وقوله أحرزهما، من الإحراز؛ أي: حفظهما الله (١).

المطلب الثاني: خطورة العجم على المسلمين وديارهم:

صدرنا المبحث بقوله ρ : "يوشك أهل العراق ألا يجيء إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبل العجم، يمنعون ذلك ..." الحديث (٢). وعلمنا أن العجم هم الفرس، وهم ساكنو بلاد إيران الحالية، وهذه البلاد هي مشرق ديار الإسلام؛ حيث تلي العراق وبلاد العرب، وعن ابن عمر τ أن النبي ρ قال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا؟ ... فأظنه قال – في الثالثة – "هنالك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان" (٣). ولفظ مسلم أنه ρ قال: "ألا إن الفتنة ها هنا، ألا إن الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان" (٤). والمقصود بالنجد: الأرض المرتفعة، وأن مَنْ بالمدينة نجده: بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة ... وكذلك يكون خروج الدجال ويأجوج ومأجوج (٥).

والحقيقة – على حسب بحثي وعلمي – لم أجد أثرا صحيحا في فضل بلاد المشرق (العراق وما وراءها من بلاد فارس والعجم)، ولعل أقوى الأخبار التي يمكن أن يستدل بها على فضل بلاد المشرق (العراق وخراسان وفارس) خبران هما:

عن ابن عمر τ أن النبي ρ أخذ بيد العباس ويد علي، وقال: سيخرج من صلب هذا فتى، يملأ الأرض جورا وظلما، وسيخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطا وعدلا، فإذا رأيتم ذلك،

(١) انظر السندي، محمد بن عبد الهادي (ت ١١٣٨هـ): حاشية السندي على النسائي (٣٤٩/٣) دار الحديث، القاهرة – ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

(٢) أخرجه مسلم (سبق تخريجه).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٣٧ –كتاب الاستسقاء) و (٧٠٩٤ –كتاب الفتن) ومسلم (٢٩٠٥ –كتاب الفتن) واللفظ للبخاري، ولفظ البخاري أخرجه أيضا الطبراني في "الكبير" (٣٨٤/١٢ ح/١٣٤٢٢) بإسناد جيد.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٠٥ –كتاب الفتن).

(٥) انظر الكرمانى، محمد بن يوسف بن على (ت ٧٩٦هـ): شرح الكرمانى على صحيح البخاري (١٦٨/٢٤)، دار إحياء التراث التراث العربى، بيروت، ط٢–١٤٠١هـ=١٩٨١م. وانظر لابن تيمية: مناقب الشام وأهله ص/٨٠ تحقيق الشيخ الألباني، ملحق بتخريج أحاديث فضائل الشام للألباني، المكتب الإسلامى، بيروت، ط٤–١٤٠٥هـ..

فعليكم بالفتى اليمنى فإنه يقبل من قبل المشرق، وهو صاحب راية المهدي (١).

وعن ثوبان قال: قال رسول الله ρ : يقتتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من المشرق، فيقتلونهم قتلا لم يقتله قوم "ثم ذكر شيئا لا أحفظه، قال: فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي"(٢) .

لقد فتح المسلمون بلاد فارس، لكن حدثت تحولات خطيرة، جعلت من هذه الديار مثار خطر على ديار الإسلام، لقد كانت بلاد فارس (إيران حاليا) بلادا سنية، تحب الإسلام والعلم والعلماء، إلى أن حدث التحول الخطير في القرن التاسع الهجرى على يد الشاه إسماعيل الصفوى، وهو حفيد الشيخ صفى الدين الأردبيلى وكان شيخا سنيا، ثم جاء من بعده ابنه الحاج/ علاء الدين على الأردبيلى (٧٣٣هـ=١٤٢٩م) ثم ابنه إبراهيم الأردبيلى المعروف بـ الشيخ شاه (٧٥١هـ=١٤٤٧م) وأصبح في مقام الإرشاد (وكانت أصولهم صوفية) وتحول الشيخ جنيد الأردبيلي (٧٥١هـ=١٤٤٧هـ) – وهو حفيد الشيخ صفى الدين – إلى المذهب الشيعى، وتمرد وقتل عام ٨٦٤هـ=١٤٦٠م فحلَّ محله (حيدر) وتزوج من حليمة عالم شاه التي ولدت له ابنه إسماعيل. ولما قتل حيدر في اضطرابات عام ٧٩٣هـ/١٤٨٨م حل ابنه إسماعيل مكانه كشيخ وكساعٍ إلى السلطة أيضا، وأضطرم الثورة عام ٨٠٨هـ/١٥٠٢م وأعلن نفسه شاها، وحَوَّل بلاد فارس إلى المذهب الشيعى، ويقال إنه قتل أمه لأنها أصرت على البقاء على المذهب السنى، وبذلك تأسست الدولة الصفوية التي صارت ثانى أكبر قوة عسكرية في الشرق بعد الدولة العثمانية (٣).

إن تحول بلاد فارس إلى المذهب الشيعى واستعمال إسماعيل الصفوي القوة الغاشمة في تغيير مذهب السنيين الممتنعين: أذكى ذلك كله عداوة الأتراك العثمانيين ضده، الأمر الذي انتهى إلى

(١) هذا حديث منكر، أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٣١٠)، وانظر الكلام عليه في تحديق النظر ص/١١٦-١١٧.

(٢) ضعيف. أخرجه ابن ماجة (٤٠٨٤ –كتاب الفتن) والحاكم (٥١١/٤) فيه مَنْ دَسَّ ومن اختلط انظر تمام الكلام في تحديق النظر ص/١٢٤-١٢٧.

(٣) انظر في هذا أحمد آق ود. سعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة ص/٢٠٨-٢٠٩، وقف البحوث الإسلامية، استانبول – ٢٠٠٨م.



محاربة السلطان سليم الأول له، حيث هزم جيش إسماعيل شاه بالقرب من تبريز ... (١).

ومما يدل على كرهه للإسلام والسنة ما ذكره قطب الدين الحنفى في "الأعلام": أنه قتل زيادة على ألف ألف نفس وقتل عدة من أعاظم العلماء بحيث لم يبق من أهل العلم أحد في بلاد العجم، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم وكان شديد الرفض بخلاف آبائه، ومن جملة تعظيم أصحابه له أنه سقط مرة منديل من يده إلى البحر وكان على جبل شاهق مشرف على ذلك البحر، فرمى نفسه خلف المنديل فوق ألف نفس تحطموا وتكسروا وغرقوا، وكانوا يعتقدون فيه الألوهية (٢).

لقد أعلن إسماعيل عقيدة دولته صراحة، فالمذهب الشيعى هو المذهب الوطنى والرسمى لفارس، وفرض على الناس الدين الشيعى بالقوة (٣) واستطاع توحيد أهل فارس ضد المسلمين السنة الذين طوقوا بلاد فارس من الشرق (الأوزبك) والغرب (العثمانيون) (٤)، وطريقة الشاة في بث عقيدته الشيعية الرافضية عنوة وتوسعاته السياسية من أجل تثبيت غاياته: كان لها دور في إثارةٍ واضحةٍ ليس للحفيظة الدينية السنية للعثمانيين فحسب، بل عاملا فعالا في تغيير استراتيجيتهم السياسية وتوجيه أنظارهم نحو آسيا الغربية بعد أن كانت أوروبا الشرقية شغلهم الشاغل (٥).

لم يكتف إسماعيل بذلك بل تَوَسَّع في ديار المسلمين ووالى أعداء الإسلام ضد أهل السنة – كما فعل أشياعه من قبل – لقد استولى على العراق، وعَمَّر مزارات الأئمة الشيعة وانقلب على علماء

---

(١) انظر في هذا دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها ص/٨٦–٨٧ ترجمه عن الإنجليزية د. عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب (المصرى/اللبنانى)، ط٢–١٤٠٥هـ =١٩٨٥م.

(٢) انظر للشوكاني، محمد بن على (ت ١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢٧١/١) مكتبة ابن تيمية، القاهرة (د.ت).

(٣) لقد كان أهل السنة في إيران قبل "إسماعيل" أكثر من ٦٥%، وصلت اليوم إلى أقل من ٣٦%، انظر في هذا: د. عبد الله الغريب: وجاء دور المجوس، الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية ص/٤٨١، دار الجيل، القاهرة – ١٩٨٣م.

(٤) طقوش، د. محمد سهيل: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ص/١٣٨، دار النفائس، بيروت، ط١– ١٤١٥هـ =١٩٩٥م.

(٥) طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ص/١٣٤.



السنة وأسقط معالم السنة بالعراق، أسقط أيضا اللغة العربية وحاربها، ونشر اللغة الفارسية (١)، وكانت هذه محاولة جادة لنزع الهوية العربية عن هذا البلد الذي يمثل بوابة العرب على بلاد العجم الذي طالما طمع في العراق وأعمل فيه عقاربه وأعماله!!

إن اللغة العربية هي مظهر الإسلام وعنوانه، ومحاربتها محاربة للدين (٢)، يقول ابن تيمية "اللسان العربى شعار الإسلام وأهله" (٣). ويقول "وإنما الطريق الحسن: اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتقنها الصغار في الدور والمكاتب؛ فيظهر شعار الإسلام وأهله ... (٤) وفي اتجاه آخر وعلى الصعيد الخارجى، تحالف هذا الشاه الرافضى الخبيث مع القوة المعادية للدولة العثمانية والدولة المملوكية، فأجرى مفاوضات مع الدول الأوروبية خاصة البندقية، وعرض على البرتغال مشروعه القاضي بتقسيم أملاك الدولتين العثمانية والمملوكية حال الانتصار عليهما؛ بحيث يكون له بلاد الشام والأناضول ويملكون هم مصر (٥).

وانتهى ذلك بالمواجهة العسكرية في معركة تشالديران، وهي صحراء بأذربيجان، وانتصر العثمانيون، واستولوا على العاصمة تبريز وفر الشاه، واستولى سليم الأول على العراق وديار بكر والرها وماردين وحصن كيفا والرقة والموصل، ومهد له هذا الانتصار الطريق لغزو مصر (٦).

إذن حدث التحول، وصارت بلاد فارس (إيران) تمثل المَدّ الغريب في جسد الأمة، وصارت

---

(١) شبارو، د. عصام محمد: السلاطين في المشرق العربى، معالم دورهم السياسي والحضارى ص/٥٨، دار النهضة العربية، بيروت – ١٩٩٤م.

(٢) انظر في هذا المعنى وتأصيله د. فتحى جمعة: اللغة الباسلة ص/٩٧–١٣٦، النهار للطباعة، القاهرة، ط٤–١٩٩٩م.

(٣) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص/٢٠٠ مكتبة المدنى، القاهرة (د.ت).

(٤) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ص/٢٠٣–٢٠٤.

(٥) طقوش: العثمانيون ص/١٤٠–١٤١، وهذا يذكرنا في العصر الحديث بتحالف الشيعة مع الأمريكان وتصريح مراجعهم الدينيين بحرمة قتال الأمريكان، وضرورة التعايش السلمى بل والتعاون معهم، انظر أسامة شحادة، د. هيثم الكسواني: الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم، التجمعات الشيعية في الجزيرة العربية ص/٥٤–٦٣ مكتبة مدبولى، القاهرة، ط١–١٤٢٩هـ =٢٠٠٩م.

(٦) طقوش: العثمانيون ص/١٤٢–١٤٦.



حلفا مع الأعداء ضد الإسلام، كان هذا زمن إسماعيل شاه، ثم وجدنا ذلك حتى في العصر الحديث، نجدها في حرب العاشر من رمضان سنة ١٩٧٣م تضامنت إيران مع الإدارة الأمريكية لتروج بترولها – رغم حظر بيع البترول الذي تبناه العرب كموقف جماعى في الحرب – مما ترتب عليه إمداد إيران الشيعية إسرائيل بالنفط، ولم تؤازر الدول العربية في قتالها ضد اليهود!! (١)

وفى الوقت نفسه نجد تحالف رافضة إيران مع الأمريكان لدخول بلاد أهل السنة – أفغانستان ثم العراق (٢)، وقبل ذلك نجدها عبر حزب أمل الشيعى بلبنان تحارب السنة في المخيمات الفلسطينية وتصفى المجموعات المسلحة السنية في المخيمات وفي طرابلس لبنان (٣) لدرجة أن القادة اليهود يعترفون بأهمية الوجود الشيعى في جنوب لبنان لأمن واستقرار إسرائيل!! (٤)

واستمر مسلسل العداء الفارسي لأهل الإسلام إلى اليوم؛ وبذلك نستطيع فهم علة قيام الرافضة بالعراق بارتكاب المجازر لأهل السنة، واغتيال الكفاءات العلمية بها، حيث تشير التقارير التي أعدتها مؤسسات تعنى بشئون التعليم العالى أن ما يقرب من ٨٠% من عملية الاغتيال (بعد سقوط العراق على يد الأمريكان/الرافضة) استهدفت العاملين في الجامعات العراقية، ويحمل أكثر من نصف القتلى لقب (أستاذ – بروفسور) أو (أستاذ مساعد)، وأكثر من نصف الاغتيالات وقعت في جامعة بغداد، ثم البصرة، ثم الجامعة المستنصرية، ويحمل ٦٢% من المقتولين شهادة الدكتوراة، وثلثهم متخصص في

(١) انظر في هذا لقاء الشيخ أحمد زكى اليمانى مع برنامج "أسواق الشرق الأوسط" (CNN)، الأحد نوفمبر ٢٠١٠م.

(٢) لقد سمعنا هذه التصريحات بأنفسنا من المسئولين الإيرانيين، مثل على أكبر هاشمى عن دور إيران في مساعدة القوات الأمريكية لدخول أفغانستان وقتال طالبان، وتصريح نائب الرئيس الإيرانى محمد على أبطحى "إذ لولا التعاون الإيرانى لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة، انظر: الموسوعة الشاملة ص/٦٦. وفي كرههم للسنة وأهلها وما يفعلونه بأهل السنة سواء كانوا من العرب أو الأكراد أو الأتراك أو غيرهم ... انظر: د. عبد الله الغريب: وجاء دور المجوس ص/٤٧٨–٤٨٤.

(٣) في مجازر الشيعة لأهل السنة في لبنان في الحرب الأهلية (فترة ١٩٨٢م) انظر د.عبد الله الغريب: أمل والمخيمات الفلسطينية ص/٨٩–١٠٩، القاهرة ط١–١٩٨٦م.

(٤) انظر الغريب: أمل والمخيمات الفلسطينية ص/١٢٣–١٢٥، وانظر ما نقلته صحيفة (الجروزاليم بوست ١٩٨٥/٥/٢٣) وأيضا تصريحات رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أهود باراك) وغيرهم، الغريب: أمل والمخيمات الفلسطينية ص/١٦١–١٦٣.



العلوم والطب، وما يقرب من ١٧% منهم أطباء (١). وأهداف الاغتيال: إضعاف البلاد وحرمانها من طاقتها البشرية، وتحقيق الرغبات والأجندات الخارجية والاقليمية لصالح بعض الدول المعادية للعراق، فسيطرة الميليشيات المسلحة ذات الطابع الشيعى وفرض إرادتها المتشددة: محاولة لتدمير الهوية الثقافية للعراق بعد احتلاله عام ٢٠٠٣م (٢).

وعلى صعيد آخر، تسعى إيران – عن طريق حلفائها وأعوانها الرافضة في العالم العربى – إلى تفتيت وتقسيم الدول العربية؛ إذ تشير التقارير أن بعض الحركات الشيعية تجاهر بنيتها في تقسيم الدول العربية وتجزئتها، كما في المطالبة بدولة عسير ودولة الحجاز ودولة الإحساء في المملكة العربية السعودية، والفيدرالية في العراق التي تتبناها كبرى الأحزاب الشيعية (٣).

إذن حدث التحول في إيران، وخرجت عن عقيدة الإسلام الصافية السمحة إلى عقيدة الرفض التي تشابه دين الهندوس والبوذيين والخرافيين، قصص وأساطير ما أنزل الله بها من سلطان!! وتشبع الشعب في إيران بعقيدته الجديدة وراهن عليها وناضل من أجلها، حتى صارت ملمحا مكونا من مكوناته، وبذا فإن التغيير عَسِير جدُ عسير!! (٤)

(١) حسين الراشد: اغتيال الكفاءات العراقية (تراجع علمي ومستقبل مجهول) ص/١٩٣، مجلة حضارة، وهي مجلة متخصصة يصدرها مركز الأمة للدراسات، العدد الأول – محرم ١٤٣٠هـ =٢٠٠٩م عن موقع مركز عمان لحقوق الإنسان على (الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٢٣م) ومؤسسة الإمارات للإعلام، العدد (٤١٣) بتاريخ ٢٠٠٦/٥/٨م.

(٢) حسين الراشد: اغتيال الكفاءات العراقية ص/١٩٤–٢٠٠، مجلة حضارة متخصصة يصدرها مركز الأمة للدراسات، العدد الأول – محرم ١٤٣٠هـ =٢٠٠٩م. حيث استفاد بموقع صحيفة الرياض بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٢١ وقد أرفق الباحث دراسته بحصر أسماء (٣٧٢) عالما عراقيا تم اغتيالهم وتخصصاتهم والجامعة التي كانوا يعملون بها وتاريخ اغتيالهم وكله بعد الاحتلال إلى عام ٢٠٠٨م، انظر لدراسته ص/٢٠٧–٢١٩.

(٣) أسامة شحادة، وهيثم الكسواني: الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم ص/٧.

(٤) من أفضل من أبان عن الوجه الجديد لإيران اليوم وثورتها وعقيدتها وموقفها من أهل السنة من لدن الصحابة إلى الآن، مَنْ عاينهم وعايشهم وشاهد مآسيهم وأفعالهم، الشيخ محمد منظور نعمانى (كبير علماء الهند) في كتابه "الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام"، ترجمة د. سمير عبد الحميد إبراهيم مطبعة عبيد للكتاب، القاهرة – ١٩٨٦م. ولعل دراسة القفارى، د. ناصر عبد الله: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، من أوعب ما كتب عنهم مؤخرا، دار الرضا، القاهرة، ط٤–١٤٣١هـ =٢٠١٠م، انظر مثلا عقيدتهم الفاسدة في القرآن واللغة (١٤٣/١–٤٤٥) و (١٤٠/٢–٢١١) وانظر من أخطر المباحث: أثرهم في العالم الإسلامي (إضلال الشعوب – تمزيق الدول ...) (٢٥٣/٣–٣٢٥) وانظر إلى اختلاف أهل العلم في تكفيرهم

المطلب الثالث: ملاحم المسلمين والعجم:

أخبر النبي أن الدجال سيتبعه سبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم الطيالسة (١)، وهنا السؤال: لماذا كانوا بأصفهان؟ الجواب: إن هذا الوجود ليس وجودا طارئا، بل منذ الاجتياح الفارسى لبلاد فلسطين زمن بخت نَصْر، حين أخذ بيت المقدس وسبى أهلها، وحمل معه يهودها وأنزلهم أصبهان، فبنوا لهم في طرف المدينة محلة سُمِّيت "اليهودية" ثم خربت بعد ذلك أصبهان وعُمِّرت اليهودية، فمدينة أصبهان اليوم هي اليهودية، هذا قول منصور بن باذان (ثم ذكر بعضا من سوئها، ومنها أن الدجال يخرج منها) (٢).

وبهذا يمكن أن نعيد قراءة حديث جابر بن سمرة، عن نافع بن عتبة، قال: كنا مع رسول الله ρ في غزوة ... فحفظت منه أربع كلمات أَعُدُّهن في يدى: قال: "تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله". فقال نافع: يا جابر: لا نرى الدجال يخرج حتى تُفْتح الروم (٣). فجزيرة العرب: هي بلاد العرب، قال الخليل: سميت جزيرة العرب؛ لأن بحر فارس وبحر الحبشة والفرات ودجلة أحاطت بها ... وعن مالك: هو كل بلد لم تملكه الروم ولا فارس .. (٤) والفتح – بتتبع القرائن – لا يكون إلا بالإسلام التام ونصرة الدين؛ كحال العرب في جزيرة العرب، حين أسلموا ونصروا الدين وحملوه إلى خارج بلادهم. ففتحوا الأمصار والبلاد وأدخلوا في دين الله أصناف الناس والعباد وكما هو منتظر – إن شاء الله – من الروم بعد الملاحم ونزول عيسى عليه السلام، أو أن يكون الفتح هو الاستئصال والإبادة، كما سيحدث مع الدجال وأعوانه من اليهود.

(٣/٣٣١–٣٥٧) وميل الباحث – وهو الحق إن شاء الله – إلى أن أقوالهم أفعال كفر من حيث العموم، لكن لا يجوز تكفير المعين حتى تقام عليه الحجة، راجع للقفارى: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (٣/٣٥٦، ٣٥٧).

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٤ –كتاب الفتن).

(٢) انظر لياقوت: معجم البلدان (١/٢٠٨–٢٠٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٠٠ –كتاب الفتن، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال).

(٤) نقله القاضي عياض: إكمال المعلم (٨/٤٤٠).